رمضان لم يرحل

الجمعة 29 أبريل 2022 02:45 م

رُوِيَ عن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنَّه كان ينادي في آخرِ ليلةٍ من رمضان ويقول: يا ليتَ شعري! من المقبولُ فنهنِّيه؟ ومن المحرومُ فنعزِّيه؟

وكان عبد الله بنُ مسعودٍ (رضي الله عنه) يقول: يا أيها المقبولُ هنيئًا لك، ويا أيها المردودُ جَبَرَ اللهُ مصيبتَك! (لطائف المعارف: 377).

أحقًّا انقضى رمضان؟!

أَذَهَبَ ظَمَأُ الصِّيامِ وانطفأَ نورُ القيام؟!

أَذَهَبَ رمضانُ وغابَ هلالُهُ؟!

هل قُوِّضتْ خِيامُه وتقطَّعتْ أوتادُه؟!

اسمعْ أنينَ العاشقين إنِ استطعتَ له سَماعا

راحَ الحبيبُ فَشَيِّعَتْهُ مَدامعي تَهْمِي سِراعا

لو كُلِّف الجبلُ الأصمُّ فِراقَ إِلْفٍ ما استطاعا

نعم رحل رمضان بأيامه ولياليه، ولكنه لم يرحل بأعماله وطاعاته رحل رمضان بغياب هلال وظهور هلال، ولكنه استقر في القلوب بمحبة ذي الجلال

إن رمضان لم يرحل؛ لأن العمل الصالح لن يرحل؛ فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد ولى وراح، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت

والمؤمن الحق يعرف أن العمل لا يتوقف إلا بانقطاع الأجل، وإذا ماتَ ابنُ آدم انقطعَ العمل إلا من ثلاث كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "صَدقةٍ جارية، أو عِلمٍ ينتفع به، أوْ ولدٍ صالحٍ يَدْعو له" (رواه مسلمٌ)، فابْقِ لكَ أَثَرًا صَالِحًا قَبْلَ الرَّحِيْل

أي شهر قد تولّى يا عباد الله عنا

حُقَّ أن نبكي عليه بدماء لو عقلنا

ثم لا نعلم أنا قد قُبِلنا أم حُرِمنا

ليت شعري من هو المحروم والمطرود منا

كيف لا نبكي لشهر مرَّ بالغفلة عنا

قيل لِبِشْرٍ الحَافِي (رحمه الله): "إنَّ قَومًا يَتعبَّدون ويجتَهِدُون في رمضان؟ فقال: بِئْسَ القومُ قومٌ لا يَعرفُونَ اللهِ حَقًّا إلَّا في شَهْرِ رَمَضَان، إنَّ الصَّالحَ هو الذي يَتَعَبَّدُ ويَجْتَهِدُ السَّنَة كلَّها".

وسُئِلَ الشِّبْلِيُّ (رحمه الله): "أيُّهما أفضلُ: رَجبٌ أو شَعْبَان؟ فقال: كُنْ ربَّانِيًا ولا تَكُنْ شَعَبَانِيًا".

وقال الحسنُ البصريُ (رحمه الله): " أيْ قوم، المداومَةَ المداومة، فإنَّ اللهَ لَمْ يجعلْ لعملِ المؤمنِ أَجَلًا دُونَ الموت" (ابن المبارك، كتاب الزهد: 7).

"فاشترِ نفسَكَ اليوم؛ فإنَّ السوقَ قائمةٌ، والثمنَ موجودٌ، والبضائعَ رخيصةٌ، وسيأتي على السوقِ والبضائعِ يومٌ لا تصلُ فيه إلى قليلٍ ولا إلى كثيرٍ" (ابن قيم الجوزية، الفوائد: 49).

ترحَّلَ الشَّهرُ – وَا لَهْفَاهُ – وانصَرَمَا واختُصَّ بالفوزِ في الجنَّاتِ من خَدَمَا

وأصبحَ الغَافِلُ المسكينُ منكسرًا مثلي! فيَا وَيحَهُ يا عُظمَ مَا حُرِمَا!

من فاتهُ الزَّرعُ في وقتِ البَذَارِ فَمَا تراهُ يحصدُ إلاَّ الهمَّ والنَّدَمَا

طُوبى لِمَن كانتِ التَّقوى بضاعتَه في شهرِهِ وبحبلِ اللهِ مُعتَصِمَا

إن المسلم الواعي يجتهد في طاعة ربه في كل الأوقات، فهو عبد الله في رمضان، وعبد الله في غير رمضان، وهو لربه تعالى في كل أوقاته: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" (الأنعام: 163).

وقد أمر الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وسلم) - وأمره له أمر لأمته - أن يستمر في عبادته حتى يلقاه، فقال تعالى: " فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" (الحجر: 98 - 99).

يذكر عن صحابيين جاء أحدهما الموت فقال له الآخر: أوصني، قال: ألم يأتك اليقين؟ فقال: بلى وعزة ربي، قال: فإياك والتلوّن فإن دين الله واحد

وإذا كنا نتقرب إلى الله تعالى في ليالي رمضان بقيام الليل، فقيام الليل لا ينقطع بخروج شهر رمضان، بل هو مما داوم عليه رسولنا (صلى الله عليه وسلم) وصحابته وعباد الله الصالحون في كل الأزمان والأمكنة

قال تعالى: "والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا" (الفرقان: 64).

وقال تعالى: " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون" (السجدة: 16).

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): " عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد" (رواه الترمذي وأحمد)، وقس على ذلك في بقية العبادات والطاعات

وقد كان سلفنا الصالح (رضوان الله عليهم) يجتهدون في إتمام العمل وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده، كما وصف الله عباده المؤمنين بأنهم: "يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون" (المؤمنون: 60).

فهل شغلك أخي الصائم هذا الهاجس وأنت تودع شهرك؟ يقول الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): " كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا إلى قول الحق عز وجل: "إنما يتقبل الله من المتقين" (المائدة: 27).

وإذا كنا نودع رمضان وفي القلب غصة، وفي العين دمعة، إلا أنه يجب أن يكون في النفس رجاء بأن نكون من عواده:

وَدَاعًا حَلِيْفَ الدُّعَا وَالْقُنُوْتِ وَشَهْرَ الْقِيَامِ وَنَفْحِ السَّحَرْ

فَدَمْعِي عَلَى الْخَدِّ مُسْتَرْسِلٌ وَمِنْ أَجْلِ بُعْدِكَ قَلْبِي انْفَطَرْ

فَهَلْ نَلْتَقِيْ يَا حَلِيْفَ الصَّلاحِ وَهَلْ عَوْدَةٌ أَمْ سَيَأْبَى الْقَدَرْ؟

وَهَلْ رَجْعَةٌ لِلَّيَالِي الْمِلاحِ وَنَقْرَأُ فِيْ مُنْتَدَاكَ السُّوَرْ؟

وَنَدْعُو الإِلَهَ بِقَلْبٍ خَشُوْعٍ تَسَرْبَلَ بِالذَّنْبِ حَتَّى اسْتَتَرْ

لَيَالِيْكَ بِالنُّوْرِ قَدْ أَشْرَقَتْ نَهَارُكَ يَزْهُوْ بِوَجْهٍ أَغَرْ
إِلهِيْ فَإِنِّيْ أُوَدِّعُ خِلًا بِدَمْعٍ غَزِيرٍ يُضَاهِي الْمَطَرْ
فَجُدْ لِي بِعَفْوٍ فَأَنْتَ كَرِيْمٌ وَتَعْلَمُ يَا رَبِّ ضَعْفَ الْبَشَرْ